الخط العربي، أصله و تاريخ تطوره إلى ما قبل ظهور الإسلام

أ.الربيع عولمي
جامعة الحاج لخضر – باتنة

ملخص:

يعالج هذا المقال أصل الخط العربي، و تاريخ تطوره و انتشاره في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، و يتصدى لأولئك الذين يدعون بأن العرب القدامى كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، و لم تبلغ أدنى درجة من الحضارة. فقد مرت الكتابة العربية في تطورها التاريخي بمراحل عدة، حيث انتقلت من كتابة آرامية، إلى كتابة نبطية اصطبغت بالصبغة العربية، إلى انبعاث الكتابة العربية في مرحلة النضج، التي يمثلها نقش زبد المؤرخ في سنة 512 م، والذي كتب بثلاث لغات: اليونانية، السريانية، والعربية. إلا أن بداية التطور الحقيقي للكتابة العربية تعود إلى مطلع القرن الرابع الميلادي على اعتبار أن نقش النمارة المؤرخ في 328 م هو أول نقش عربي كتب بحروف عربية متصلة، و هذا هو الخط الذي نزل به القرآن الكريم بعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون.

Résumé :

Cet article traite les origines de l'écriture arabe, l'histoire de son évolution, et sa diffusion dans la péninsule arabique avant l'islam. Il fait face à ceux qui croient que les arabes anciens étaient des analphabètes qui ignorent l'écriture et la lecture, et n'ont atteint aucun degré de civilisation. La véritable évolution de la langue arabe apparait au début du IVème siècle grâce à l'inscription D'En-Nemara datée en 328, découverte par René Dussaud et F.Macler en 1902. L'écriture arabe pure apparait pour la première fois, grâce à l'inscription trilingue (grecque, syriaque, et arabe) de Zabad datée en 512, et c'est par cette même écriture que le Coran est écrit plus tard après trois siècles.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمــة:

تعد الكتابة من أهم المظاهر الحضارية في تاريخ تطور البشرية، فكما تبدأ المدنية بالزراعة، فإن التاريخ يبدأ بظهور الكتابة التي هي في الواقع وسيلة أساسية للتواصل المعرفي بين الناس، تستعمل لنقل اللغة وحفظها و تدوين الحقائق و الأحداث عبر الزمان و المكان، و قد ساد الاعتقاد لدى بعض المؤرخين والباحثين أن العرب في التاريخ القديم كانوا أمة منعزلة عن العالم نتيجة الوضع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية، غير أن الدراسات الحديثة كشفت خطأ هذا الاعتقاد، و أثبتت أن العرب لم يكونوا في منأى عن الحضارات القديمة، و كانت لهم صلات وطيدة بالحضارات المجاورة، و احتك أهلها بالشعوب والأمم التي تحيط ببلاد العرب، وقد مكنهم هذا الاحتكاك من معرفة القراءة و الكتابة، و هكذا لم يبق العرب في عزلة تامة بل أخذوا نصيبا من الحضارة ، فارتقوا فكريا و حضاريا.

من هذا المنطلق جاء هذا البحث ليحاول الإجابة على جملة من التساؤلات لعل أبرزها: ما أصل الخط العربي؟أين و متى نشأ؟ هل للخط العربي علاقة بالمسند الحميري و الآرامي النبطي و السرياني ؟ كيف تطورت الكتابة العربية قبل ظهور الإسلام؟ وما الأدوات و الوسائل المختلفة التي استخدمها العرب القدامى في الكتابة؟ و للإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا خطة عمل منهجية تتكون من العناصر الآتية:

أولا: نشأة الخط العربي:

إن الكتابة مظهر من مظاهر الحضارة، وأثر من آثار الاجتماع و التجارة و كان أسبق الأمم إليها المصريون و الفينيقيون، و أجهل الناس بها أهل البدو، فلم تنتشر الكتابة بين العرب إلا في المناطق التي عرفت الحضارة و ارتقت فيها العمارة ، كالعربية الجنوبية (أي اليمن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعرف الباحث الفرنسي جيمس فيفرييه [1](J.G.Février) الكتابة بأنها :« نهج و طريقة نستعملها لترسيخ و تثبيت كلام واضح و مبين، قد يكون عابرا في جوهره و ماهيته. »

لقد ذهب الباحثون و علماء اللغة في دراساتهم حول نشأة الخط و الكتابة العربية إلى ثلاثة آراء هي:

1- الرأي الأول: يرى أصحاب هذا الرأي أن الخط توقيف، أي أنه ليس من صنع البشر، بل أن الله تعالى قد علم آدم الكتابة فكتب الكتب كلها، فلما أصاب الأرض الطوفان وجد كل قوم الكتابة التي يكتب بها، و كان من نصيب إسماعيل (عليه السلام) الكتاب العربي، و هو أول من وضعه على لفظه و منطقه، و بذلك يكون أول من تكلم بالعربية.[2]

و يستدل أصحاب هذا الرأي بأن الخط توقيفا لظاهر قوله تعالى[3]:**{ اقرأ باسم ربك الذي خلق*خلق الإنسان من علق*اقرأ و ربك الأكرم*الذي علم بالقلم*علم الإنسان ما لم يعلم}** ولقوله جل ثناؤه:[4]**{ ن و القلم و ما يسطرون}** .

و يمكننا أن نتساءل في هذا المقام، أنه لو كانت الكتابة توقيف ألهمها الله إلى إسماعيل، فلماذا لم يكن الأمر كذلك لآدم (عليه السلام)، و للأنبياء الذين سبقوا إسماعيل (عليه السلام)؟

---

[1]- Février (J.G.), Histoire de l'écriture, Payot, Paris, 1959, p.9

[2]- محمد بن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء، تحقيق** محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة،1974م، ص ص9-10.

[3]- سورة العلق، الآيات 1-5.

[4]- سورة القلم، الآية 1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- الرأي الثاني : يرى أصحابه أن الخط اختراع وأن عرب الحجاز قد أخذوا الخط عن الحيرة[1] التي أخذته عن الأنبار[2] والتي أخذته بدورها عن اليمن[3]. والحقيقة أن هذا الرأي أقرب إلى الواقع ذلك أن عرب الحجاز كانت تربطهم علاقات تجارية مع الحيرة والأنبار ومما نقلوا عنهم الخط.

ويذكر ابن النديم[4]:« أن أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان[5] اجتمعوا ووضعوا حروفا مقطعة وموصولة وهم : " مرامر بن مرة الأنباري"، و "أسلم بن سدرة "، و"عامر بن جذرة " ويقال "مرة وجذلة"، فأما مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام. وقد سئل أهل الحيرة: ممن أخذتم الخط العربي ؟ فقالوا : من أهل الأنبار. »

وورد في القاموس المحيط [6]:« أن العرب تسمي خطها بالجزم [7]لأنه جزم واقتطع من المسند الحميري. »

---

[1]- **الحيرة** : اتفق معظم المستشرقون على أن الحيرة لفظ من ألفاظ بني إرم وأنها مأخوذة من (حرتا – أو حيرتا – أو حيرتو) (harta-Hirta-herto) وأنها لفظة سريانية الأصل وأن معناها المخيم أو المعسكر، وتقابل كلمة (حاصيرا-haser) في اللغة العربية ، وهي مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، وسميت الحيرة لأن تبعا الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعف جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أي أقيموا به. الإصطخري: المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر، دار القلم، القاهرة،1961، ص58، ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق عبد العزيز الجندي، ج2، ط 9 ، دار الكتب العلمية،بيروت،1990،ص ص 328- 329 .

[2]- **الأنبار** : مدينة على نهر الفرات غربي بغداد ، كانت الفرس تسميها فيروز سابور، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف. المصدر نفسه ، ج1، ص 257.

[3]- سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، 1960، ص 114.

[4]- الفهرست، تحقيق ناهد عباس، ط1، دار قطري، الدوحة، 1985، ص 30.

[5]- **بولان** : موضع قريب من النباج في طريق الحاج من البصرة ، وقيل واد ينحدر على منفوحة باليمامة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 511.

[6]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط ،ج4، دار العلم للجميع، بيروت،(د.ت)،ص88.

[7]- **الجزم**: سمي الخط العربي بالجزم لأنه جزم و اقتطع من المسند الحميري ، و أن أول من كتب به رجل من بني يخلد بن النضر بن كنانة ، فكتبت به العرب. ابن النديم، المصدر السابق، ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويذكر الألوسي [1]:« أن العرب تسمي خطها بالجزم لأن الخط الكوفي كان أولا يسمى الجزم قبل وجود الكوفة، لأنه جزم واقتطع من المسند الحميري و "مرامر" هو الذي اقتطعه.» وهذان الرأيان يلتقيان عند الاقتطاع من المسند الحميري و الثاني من التسلسل التاريخي نقل عن السابق له من الناحية التاريخية. بينما يرى بطرس البستاني[2]: « أن الخط العربي جزم من الآرامي النبطي، فقد تعلم بعض القرشيين خط الجزم من نصارى الحيرة في رحلاتهم التجارية إلى العراق، فحملوه إلى مكة، فظهرت فيهم الكتابة قبل الإسلام. » و هذا الرأي يختلف عن الرأيين السابقين. في حين يعتقد بعض المستشرقين [3]:« أن الخط العربي قد يكون مشتقا من الخط الآرامي مباشرة معتمدين في اعتقادهم هذا على ما كان بين الآراميين و القبائل العربية من القرب و الجوار. » و يمكننا أن نتساءل عن موطن الخط العربي الذي اختلف حوله المهتمون

بالبحث و الدراسة، ذلك أنها مسألة معقدة، و يتعذر تحديد موطن هذا الخط و البت فيها برأي قاطع و جازم و ذلك لسببين:

1- قلة النقوش العربية [4] قبل ظهور الإسلام من خلال اطلاعنا على ما تم اكتشافه حتى الآن.

2-غموض تاريخ الخط العربي عند المؤرخين العرب القدامى و تضارب آرائهم و رواياتهم حول هذا الموضوع.

---

[1]- **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج3، ط3، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت)، ص368.

[2]- **أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام** ، دار مارون عبود، بيروت،1979،ص35.

[3]- **إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية**، ط1، دار القلم، بيروت،1980، ص171.

[4]- يرجع مصطلح النقوش" inscriptions " إلى الكلمة اللاتينية المركبة " inscriptio " و تعني الكتابة أو الكتابة الغائرة. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية "مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السامية"، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د.ت)، ص218.

Félix Gaffiot, **Dictionnaire Abrégé Latin-Français**, Librairie Hachette, Paris, 1936, p.327.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 - الرأي الثالث: يرى رجيس بلاشير[1](R.Blachère) في رواية لابن الكلبي:« أن الخط العربي انتقل من الحيرة إلى مكة بواسطة حرب بن أمية جد الخليفة معاوية قبل ظهور الإسلام .» و في نفس السياق يذكر بلاشير:« أن الخط العربي انتقل من دومة الجندل[2] في شرقي نجد إلى مكة .»

و نستشف من قول بلاشير هذا أن الخط العربي انتقل من الحيرة إلى مكة مرورا بدومة الجندل التي تقع إلى الشمال منها ، فكأن دومة الجندل مثلت حلقة وصل و محطة عبور بين الحيرة و مكة. و إذا كان أصحاب الرأي الثاني الذين يقولون أن عامر بن جدرة وضع الإعجام ، فالواقع غير ذلك تماما.

حيث أن الخط العربي في نشأته الأولى كان يكتب من غير تنقيط ، كما يظهر من النقوش العربية القديمة مثل : نقشي زبد وحران ، وأن الخط العربي لم يقتطع من المسند الحميري، فليس هناك أية علامة بينهما عدا أنهما ينتميان إلى الأصل السامي الواحد حسب الدراسات التي تمت حتى الآن. ويمكن ملاحظة ذلك من مقارنة بسيطة بين الخط العربي والخط الحميري . ومن خلال مقارنة الحروف العربية بالحروف الحميرية يتضح أنها تختلف عن بعضها اختلافا شديدا، لذلك فهذه النظرية لا تستند إلى دليل علمي تاريخي وموضوعي يبرز العلاقة بين الخط العربي وخط المسند الحميري، فرغم محاولة صاحبها إبراز تلك العلاقة إلا إنها لا ترتق إلى ما يؤكد ذلك.

---

[1]-- **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة إبراهيم الكيلاني،ج1، الدار التونسية للنشر، تونس،1986، ص 75.

[2]- دومة الجندل: حصن منيع و معقل حصين، به عمارة، و هي ما بين الرقة و بالس، تسمى حاليا الجوف بالسعودية. أحمد الشنتناوي و آخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مج7، دار المعرفة، بيروت،1933، ص ص168- 169.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يرى بعض الباحثين العرب أمثال خليل يحي نامي[1]: « أن الكتابة العربية قد أتت من الحيرة التي كانت تدين بالنصرانية وتكتب بالخط السرياني » ، فهل معنى ذلك أن الخط العربي قد اقتطع من الخط السرياني ؟

نستنتج مما سبق أن الخط العربي لم يقتطع من الخط السرياني ذلك أنهما فرعان مختلفان اشتقا من أصل واحد وهو الخط الآرامي المربع، وما هذه الحروف المتشابهة والخصائص المشتركة التي نجدها في الكتابتين إلا نتيجة كونهما قد خضعا لظروف واحدة ومرا بأدوار متشابهة.

وفي هذا السياق أورد ابن النديم [2] رواية أخرى مفادها :« أن أول من وضع الخط العربي قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد ، وأسماؤهم هي : "أبو جاد " ، "هواز"، "حطي" ، "كلمون"، "صعفص"، "قريسات"، ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم وهي الثاء والخاء، والذال، والظاء، والشين، والغين، فسموها الروافد، وقال أن هؤلاء ملوك مدين.»[3]

يبدو أن هذه الرواية وإن جانبت الصواب إلى حد ما بأن أخذ أصحابها الترتيب الأبجدي للحروف وجعلوها أسماء لملوك مدين، وأنهم هم الذين وضعوا الخط العربي، إلا أنها من جانب آخر قد بينت أن العرب أخذت خطها من المناطق الشمالية واقتطعته من كتابة شعب كان يسكن مدين وما يجاورها.

---

[1]- «أصل الخط العربي »، **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، مج10،ج1، ماي 1935، ص 4.

[2]- الفهرست، ص 29.

[3]- مدين: مدينة تقع شمال بحر القلزم إلى الجنوب من شبه جزيرة سيناء في الأرض المسماة الآن معان جنوب فلسطين، و قد كانت محطة تجارية بين الشام و الحجاز و مصر لذلك كان أهلها تجارا، و قد بعث الله إليهم النبي شعيب (عليه السلام) لأنهم يخسرون الكيل و الميزان، و قد هلكوا بالصيحة و الرجفة. ابن كثير، البداية و النهاية، تحقيق أحمد ملحم، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ص 226-232، عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت،1964، ص ص47-48.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كانت المصادر العربية لم تذكر اسم هذا الشعب ولا اسم الكتابة، فإن المستشرقون وبعد دراسات عميقة، ورحلات علمية عديدة خلال القرن التاسع عشر الميلادي عثروا في تلك الأنحاء على نقوش وكتابات تحمل اسم قبائل تعرف بالنبط كانت تسكن مدين، وبعد تمكنهم من فك رموز هذه النقوش ودراساتها تبين بالمقارنة أن هذا الخط الذي يعرف بالنبطي هو الأصل الذي تفرع منه الخط العربي.

وحسب جيمس فيفريه [1] فإن أول المستشرقين الذين عثروا على نقوش نبطية، وعكفوا على دراستها الإنجليزي بوركهارت (J.L. Burckhardt) الذي زار "سلع" سنة 1812 م، وقد عثر على ثلاثة نقوش ضمنها في كتابه :« رحلة إلى سورية والأرض المقدسة - the Travels in land » syria and holy الذي طبع في لندن سنة 1822م. [2] وقد اقتفى أثره الألماني ليتمان (E.Littmann) والفرنسي دي فوجي (De vogue) اللذان قاما برحلات إلى مدين وعثرا على عدد من النقوش النبطية التي يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثالث الميلادي[3]، ونشرا هذه النقوش في المجلة الآسيوية "Journal Asiatique" لسنة 1897 م– 1898م [4].

نستنتج مما سبق أن الأنباط قبائل عربية الأصل استعملت اللغة والكتابة الآرامية في النقوش وسائر شؤونها العمرانية ، لكنها كانت تتكلم اللغة العربية، ومما يدل على أن هذه القبائل عربية، أن العرب يعرفون في التاريخ القديم بأنهم أمة بدوية تأنف من العمل في الزراعة، فلما أغارت هذه القبائل على الأقاليم الشمالية الآرامية واحتكت بها وتأثرت بحضارتها تخلت عن بداوتها

1- James Février, op.cit, p.245

2- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص 16.

3- رجيس بلاشير، المرجع السابق، ج1، ص 76.

4- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص 16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخذت أولى المهن عن الآراميين والتي تستلزمها الحضارة والعمران وهي الزراعة.

ويذكر المسعودي [1] :« أن هذه القبائل أطلق عليها اسم النبط لأنهم كانوا يستنبطون ما يخرج من الأرض. »

ومن الأدلة التاريخية على وجود الكتابة النبطية في حواضر الحجاز نقوش العلا ومدائن صالح التي يعود تاريخها إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين، ذلك أن بلاد الحجاز كانت تعرف هذه الكتابة وتستعملها في شؤونها العمرانية وحياتها اليومية.

والحقيقة أن النبط بسطوا نفوذهم على بلاد الحجاز ونشروا حضارتهم وثقافتهم ، لذلك نجد عرب الحجاز قد اتخذوا بعض الآلهة النبطية آلهة لهم مثل: ذو الشرى، اللات، العزى، مناة، هبل، وغيرها من مظاهر تأثر الحجازيين بالأنباط.

ومما يؤيد ذلك ما أورده الجغرافي الإغريقي سترابون (Strabon [2]) في كتابه « Géographia » حيث قسم البلاد العربية إلى قسمين : القسم الشمالي وسماه "Arabia Petraea" أي العربية السلعية (الصخرية)، والقسم الجنوبي ويسمى "Arabia Félix" أي العربية السعيدة ، ومعنى ذلك أن القسم الشمالي كان خاضعا للنبط، والقسم الجنوبي كان خاضعا لليمن.

ويذكر سترابون [3] كذلك أن النبط ساعدوا الرومان على غزو اليمن سنة 24 ق.م، وذلك قصد السماح للجيوش الرومانية بالمرور في الأراضي النبطية.

---

[1]- **التنبيه و الإشراف**، مطبعة بريل، ليدن Lieden، 1983، ص78، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج6، ص 138.

[2] -Strabo, the géography of strabo, tans.by H.L.Jones, I-II, London, 1949, p.553.

[3] - Ibid., book VII, p.351.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: تطور الكتابة العربية :

أخذت الكتابة العربية تتطور في الحجاز تماشيا مع تطور حركة التجارة في المنطقة وانتقالها من اليمن نحو الحجاز، لذلك فإن عرب الحجاز عرفوا الكتابة النبطية وكانوا يستعملونها في شؤونهم التجارية وذلك خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، ونستمد معارفنا هذه حول الكتابة العربية من نقش النمارة[1].ومع أوائل القرن الخامس الميلادي انتقلت الكتابة النبطية إلى كتابة عربية ، وبذلك أصبح لمكة السيادة الروحية والأدبية على أنحاء الجزيرة العربية بصورة عامة.

و من هنا يمكن أن نتساءل:كيف تطورت الكتابة النبطية من الآرامية إلى العربية.؟ إن انتقال الكتابة من الآرامية إلى النبطية، يمكن تتبعه من خلال النقوش النبطية القديمة التي كتبت في القرن الأول قبل الميلاد. ويتجلى ذلك في نقش حوران، خصوصا أنها كانت قريبة من فلسطين حيث كان يستعمل القلم العبري الآرامي،وقد أخذ الأنباط الخط الآرامي وطوروه وجعلوه متصل الحروف، في حين أن الآرامية والعبرية كانت منفصلة الحروف [2].

وقد مرت الكتابة النبطية بعدة مراحل حسب تطورها التاريخي الآتي:

1-المرحلة الأولى: وتمثلها نقوش القرنين الأول والثاني الميلاديين وهي مرحلة الأخذ بالكتابة الآرامية دون تصرف ، ويظهر ذلك في نقوش مدائن صالح [3]، وقد عثر عليها العالمان جوسن (Jaussen) وسافينياك (Savignac) في سنة 1907 م، ونشرت في كتابهما : "مهمة أثرية ببلاد

---

[1]- نقش النمارة: اكتشفه العالمان ديسو و ماكلرسنة 1902م، و النمارة من أعمال حوران و هي قائمة على أنقاض مخفر روماني شرقي جبل الدروز، ووجد النقش على أسكفة باب مزار خرب شيد من أجل الملك امرئ القيس بن عمر المتوفى سنة 328م، و النقش مؤرخ في سنة 223 من سقوط سلع أي في سنة 328م. خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص 70، رجيس بلاشير، المرجع السابق،ج1، ص 76.

[2]- محمد الخطيب، حضارة العرب في العصور القديمة، ط1، دار طلاس، دمشق،2005، ص 334.

[3]- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص ص 38-43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرب من أورشليم إلى الحجاز – « Mission archéologique en au Hedjaz Arabie de Jérusalem ».

2-المرحلة الثانية: وتميزت بتطور سريع للكتابة النبطية التي أخذت تفقد المسحة النبطية، وتصبغ بالصبغة العربية، وتمثلها نقوش القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ويتجلى ذلك من خلال النقوش السينائية، والنقوش النبطية المتأخرة ومنها نقش أم الجمال غربي حوران ويعود تاريخه إلى سنة 270م، وقد عثر عليه العالم الألماني ليتمان (Littmann)، ونشره في كتابه : « نقوش نبطية - Nabataean Inscriptions »، والعالم الفرنسي الكونت دي فوجي (De Vogue) في كتابه:« سورية الوسطى نقوش سامية « Syrie centrale inscriptions Sémitiques - وخطه نبطي ويمتاز بظهور روابط بين الحروف، [1] وقد ورد في ثلاثة أسطر وهذا نصه[2]:

1-هذا هو قبر فهر.

2- ابن سلى مربي جذيمة (جذيمت).

3- ملك تنوخ .

و تكمن أهمية هذا النص في أن الملوك العرب قد أخذوا يستعملون الخط النبطي، وهذا ما يدل على انتشار الكتابة بين العرب قبل سنة 270 م أي قبل منتصف القرن الثالث الميلادي، و أخذوا منذ ذلك الوقت يتخلون تدريجيا عن الكتابات الأخرى كاللحيانية والثمودية والصفوية. [3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص 68- 69 .

[2]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، القاهرة، 1960، ص35.

[3]- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويأتي بعده نقش النمارة المؤرخ في سنة 328 م، والذي عثر عليه رونيه ديسو (R.Dussaud) وماكلر (F.Macler) في النمارة من أعمال حوران سنة 1902م. [1]

وقد ورد نقش النمارة في خمسة أسطر وهذا نصه [2]:

1- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسرالتج.

2- وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدى وجا.

3- بزجي في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.

4- الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- عكدى. هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده.

وترجمته إلى العربية كما يأتي:

1- هذه نفس (قبر) امرئ القيس ابن عمر وملك العرب كلها الذي تتوج بالتاج .

2- وملك قبيلتي أسد ونزار وملوكهم وهرب (شتت) مذحج بالقوة وجاء.

3- إلى بزجي (أو بزحي) بانتصار في مشارف نجران مدينة عمرو وملك معد وبنان ابنيه.

4- الشعوب، و وكله الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- من القوة: هلك في سنة 223 في يوم 7 من كسلول(كانون الأول- ديسمبر) وليسعد الذي ولده. [3]

يتضح من هذا النقش استعمال كلمات عربية كثيرة مثل: جاء وهرب ووكل والشعوب، واستخدمت أداة التعريف (أل)، ونجد فيه تراكيب عربية فصيحة مثل جملة (فلم يبلغ ملك مبلغه)، و يمثل النص مرحلة من مراحل تطور اللغة

---

[1] -James Février, op.cit, p.264

[2]- Loc.Cit. ،شوقي ضيف، المرجع السابق، ص35.

[3]- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص71، شوقي ضيف، المرجع السابق، ص36.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربية، ولعل هذا ما يدل على غلبة النفوذ العربي، وانتشار الكتابة النبطية بين العرب وملوكهم، وفي النص أيضا ما يدل على أن اللغة العربية بدأت تبسط سلطانها إلى شمالي بلاد العرب منذ أوائل القرن الرابع الميلادي.

3 –**المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة النضج ، وفيها بدأت تندثر الكتابة النبطية، لكن روحها تبعث في كتابة أخرى هي الكتابة العربية، وتمثل هذه المرحلة نقوش القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ولم يتمكن الباحثون من العثور إلا على نقشين فقط من النقوش العربية قبل ظهور الإسلام هما: نقش زبد [1] المؤرخ في سنة 512 م، ونقش حران [2]المؤرخ في سنة 568 م [3].

وقد نقل إسرائيل ولفنسون صورة الكتابة العربية لنقشي زبد وحران في كتابه "تاريخ اللغات السامية" [4].

و اختلف المستشرقون في قراءة هذا النقش وقد فسره الواحد منهم تفسيرا يخالف تفسير الآخر، ومن هؤلاء أنو ليتمان وهذا نص قراءته:

1 – (بنصر) الإله شرحو بر أمت منفو وظبي بر مر القيس.

2 – وشرحو بر سعدو وسترو وشريحو.[5]

يتضح من النص أنه كتب بالنبطية وخطه قريب إلى أقدم خط عربي، وتكمن أهميته في أنه يحمل خصائص الخط العربي قبل ظهور الإسلام.

---

[1]- زبد: خربة تقع بين قنسرين ونهر الفرات قديما وتقع حاليا جنوب شرق حلب، وقد كتب نقش زبد بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 130، رجيس بلاشير، المرجع السابق، ص73، شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 37.

[2]- نقش حران: عثر عليه منقوشا على حجر فوق باب كنيسة شمال جبل الدروز مكتوب بالعربية واليونانية مؤرخ في سنة 463 من سقوط سلع أي في سنة 568 م، ويعتبر هذا النقش أول نقش عربي كامل في جميع كلماته. خليل يحي نامي،المرجع السابق، ص90، رجيس بلاشير، المرجع السابق، ج1، ص74 .

[3] -James Février, op.cit, pp. 264-265.

[4]-إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص 191، James Février, op.cit, p. 264.

[5]- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص ص 89–90، رجيس بلاشير، المرجع السابق، ج1، ص 74 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى بلاشير [1]:« أن كتابة زبد جديرة بتسميتها "عربية" لأنها تحوي جميع مظاهر الكتابة العادية المتصلة الحروف. »

لعل أهم القراءات التي تناولت هذا الموضوع قراءة العالم ليدزبارسكي (M.Lidzbarski) :

1- (بـ) م الإله شرحو بر... مع قيمو و ..... بر مر القيس.

2- وشرحو بر سعدو و ستر و (شر) يحو. (بتميمي. وكتب هذه الكلمة الأخيرة بالسريانية.) [2]

يتضح من النصين السابقين أن ليتمان و ليدزبارسكي يختلفان في أغلب كلمات السطر الأول، ويتفقان في قراءة

السطر الثاني. أما نقش حران فقد عثر عليه في المنطقة الشمالية من جبل الدروز، وقد كتب باليونانية والعربية، ووضع الحجر فوق باب كنيسة نجران، ويعود تاريخه إلى سنة 463 من سقوط "سلع"، أي في سنة 568 م، ويعتبر هذا النقش أول نقش عربي كامل في جميع كلماته و تعابيره [3].

و بعد أن عجز المستشرقون لأكثر من قرن من الزمن، تمكن ليتمان من قراءة النقش وهذا نصه [4]:

1- (ا) نا شرحبل بر (ابن) ظلمو (ظالم) بنيت ذا المرطول.

2- سنت (سنة) 463، بعد مفسد.

3- خيبر.

4- بعم (بعام)

وهذه ترجمته بالعربية[1]:

---

[1]- المرجع نفسه،ج1، ص 77.

[2]- إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق ، ص 191

[3]- رجيس بلاشير، المرجع السابق، ص 74،

[4]- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص 91.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- أنا شرحبيل بن ظالم بنيت هذا المعبد.

2 – سنة 463 بعد خراب (غزو).

3 – خيبر.

4 – بعام.

يتجلى مما سبق أن النص كتب بعربية واضحة، وقد ألحقت بكلمة ظالم واو وفقا لقواعد لغة وكتابة النبط في كتابة أسماء الأعلام، وحذف حرف العلة من الكلمة "عام" وهي الصورة نفسها المألوفة في الكتابة العربية قبل ظهور الإسلام.

وتكمن أهمية النص التاريخية في أنه يشير إلى غزو أحد أمراء غسان لخيبر، وقد ظل هذا النص مبهما حتى تمكن ليتمان(Littmann) من فك رموز كلماته ، فكشفت بذلك عن أهميته التاريخية. ويستدل في ذلك بقول ابن قتيبة [2]:«ثم ملك بعده الحرث بن أبي شمر ... وكان غزا خيبر فسبى من أهلها ثم أعتقهم بعدما قدم الشام » .

و هناك نقش أم الجمال الثاني عثر عليه في موضع أم الجمال المذكور سابقا، وهو غير مؤرخ، ويعتقد الباحثون أنه يعود إلى أواخر القرن السادس الميلادي [3]، وهذا نصه:

1 – الله غفرا الأليه.

2 – بن عبيدة كاتب.

3- الخليدا على بني.

4-عمري كتبه عنه من.

---

[1]- بطرس البستاني، المرجع السابق، ص 36، جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج6، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص 594.

[2]- كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط2، دار المعارف بمصر، 1969م، ص313.

[3]- رجيس بلاشير، المرجع السابق ، ج1،ص75،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- يقروه.

يتضح من النص أنه كتب بكتابة عربية، وهو من النصوص المدونة بلغة القرآن والشعر العربي القديم، وإذا كان تاريخه صحيحا في أواخر القرن السادس الميلادي، يحتمل أن يكون أول نص عربي قبل مجيء الإسلام، وبهذه اللغة والكتابة يكون قد حقق خطوة جديدة نحو استقلالية الكتابة واللغة العربية عن الكتابة واللهجة النبطية.

ثالثا: علاقة الخط العربي بالمسند الحميري و النبطي:

تعود كتابات العرب القدامى من حيث الخط والأبجدية إلى أصلين هما:

1-الخط المسند أو (القلم الحميري): وهو أقدم الأقلام العربية التي عرفت في شبه الجزيرة العربية حتى اليوم، وقد دونت به الكتابات المعينية والسبأية والقتبانية والأوسانية وهي لهجات عربية جنوبية. [1]

وقد ترك خط المسند أثرا في الخط العربي، و في النقوش العربية الشمالية البدائية من ثمودية ولحيانية وصفوية. [2]

و قد عثر الباحثون في منطقة العروض على كتابات عربية تعود إلى القرن السادس الميلادي كتبت بالخط المسند، وهي نصوص ذات قيمة تاريخية بالنسبة للباحثين في مجال اللغة والكتابة [3]، و رغم قلتها أحيانا فهي لا تشفي غليل الباحثين في هذا الموضوع، إذ لا يمكن لأي باحث أن ينكر أهميتها العلمية والمعرفية.

ولعل هذا ما يؤكد انتشار الخط المسند في جل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وتتكون أبجديته من تسع وعشرين (29) حرفا هي الحروف العربية الثمانية والعشرين (28) يضاف إليها السين الثانية، وهي مقتبسة من الأبجدية التي

---

[1]- المرجع نفسه ، ج8، ص202.

[2]- أحمد ارحيم هبو، **تاريخ العرب قبل الإسلام** ، ط1، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1979-1980م، ص87.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص678.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كشف عنها مؤخرا في سرابيط الخادم [1] بشبه جزيرة سيناء والتي يبدو أنها أصل الأبجدية الفينيقية [2]، وقد يلاحظ الدارس أن الخط المسند امتاز بميزات منها:

1- أن حروفه منفصلة، ويكتب من اليمين إلى اليسار، ومن الأعلى إلى الأسفل والعكس.

2- أن حروفه غير متشابهة ، لذلك لم يعرف الإعجام وشكل حروفه ضخمة إذا ما قورنت بالحروف العربية.

3- وهو غير مشكول ويكتب بحروف صامتة. [3]

2-الخط النبطي : حسب جيمس فيفري [4] فإن الخط النبطي اشتق من الخط الآرامي ، ويختص بالخصائص الآتية:

أ-الأربطة: وهي وصل الحروف ببعضها بأربطة تجمع بينها، تكون منها وحدة مستقلة بذاتها، فمثلا يأخذ النبط في ربط كل باء بالحرف الذي يليه تشبها براء "بر".

ب-الفواصل: وهي حروف استعملها النبط ووضعوها في أواخر الكلمات لتكون فاصلا بينها وبين الكلمات التي تأتي بعدها.

---

[1]- سرابيط الخادم : منطقة أثرية في شبه جزيرة سيناء عرفتها بعثات الفراعنة واستخرجت منها الفيروز وأقامت بها معبدا لتقديس حتحور وسبد، وتركت على صخورها نقوشا وألواح تحمل بعض أخبارها، وعثر العالم البريطاني بتري سنة 1905م على مجموعة من النقوش أسماها النقوش السينائية و ما قبل السينائية، و قال العلماء أن فيها أصل الأبجدية الفينيقية . محمود محمد محفوظ، الموسوعة العربية الميسرة، ج3، ط2، دار الجيل، بيروت، 2001، ص 1294.

[2]- جورجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي** ،ج3، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،(د.ت) ،ص 58، James Février, op.cit, pp.267.

[3]- جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص 278، الطاهر ذراع، المجتمع العربي القديم من خلال كتابات أصحاب السير و الكتاب القدامى، أطروحة دكتوراه دولة، غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2003، ج2، ص261.

[4] -James Février, op.cit., p. 245.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج-الإعجام: الكتابة النبطية لم تعرف التنقيط كالكتابة العربية تماما في أول نشأتها، لذلك فبعض الحروف النبطية تؤدي معنيين فمثلا:

ب: تؤدي معنى الباء والنون.

د: تؤدي معنى الدال والذال.

س: تؤدي معنى السين والشين.

ص: تؤدي معنى الصاد والضاد.

ت: تؤدي معنى التاء والثاء وهكذا. [1]

يذكر الألوسي[2]: « أن الخط العربي الذي كتب به أهل الحجاز قبل ظهور الإسلام و بعده متطور عن الخط النبطي.» و هو أصل الخط العربي المعروف باسم الحجازي النسخي [3] ، و ما يدل على ذلك الخربشات [4] (Graffiti) المتأخرة التي وجدت في منطقة الحجاز، و هي غير مؤرخة، و الخربشات السينائية التي يصل عددها إلى ثلاثة آلاف، و التي حدد جيمس فيفريه تاريخها من سنة 150م إلى سنة 253 م. [5]

رابعا: علاقة الخط العربي بالخط السرياني :

يرى بعض الباحثين العرب أن أصل الخط العربي يعود إلى الخط السرياني [6] الذي تطور عن الخط الآرامي المربع، و ظهر في بلاد الرافدين

---

[1]- خليل يحي نامي، المرجع السابق، ص ص85-87.

[2]- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص 368.

[3]- أحمد أرحيم هبو، المرجع السابق، ص 88.

[4]- يرجع هذا المصطلح إلى كلمة Graffito وجمعها Graffitis إلى اللغة الايطالية، وتعني الكتابة Inscription أو خربشة ورسم رديء باليد على جدار أو صخر. محمود فهمي حجازي، المرجع السابق، ص 218.

Larousse Illustré, Paris, 1991, p.468.

[5] - James Février, op.cit, p 249.

[6]- **اللغة السريانية:** لهجة آرامية قديمة نشأت في إقليم الرها(Edessa) عند الرومان و هي أورفة الحالية في جنوب شرق تركيا، وقد بدأت لغة الرها الآرامية تسمى السريانية بعد انتشار المسيحية تمييزا لها عن الآراميات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و سورية و جنوب العراق و بلاد الشام، و من ثم ظهر الخط الكوفي ذو الشكل الهندسي البديع. [1]

و مهما يكن من أمر سواء كان أصل الخط العربي من الخط المسند أو النبطي أو السرياني، فإنه من منبع واحد، و هو الخط الآرامي المربع الذي يعود بدوره إلى الخط الفينيقي.

وقد نشأت فيما بعد خطوط عربية عديدة منها: الثلث، والنسخ، والرقعة ، والديواني، وكلها تعود إلى الأصلين الكوفي والنسخي. [2]

يبدو أن الكتابة عند العرب قبل الإسلام كانت معروفة، و لكنها لم تكن مألوفة، أي أن العرب كانوا يخطون ويقرأون الخط، وقد كانت الكتابة شائعة في الحواضر، وبوجه خاص في مكة التاجرة كما وصفها لامنس (Lammens). [3]

غير أن الكتابة والقراءة لم تكن منتشرة بينهم انتشارا واسعا، وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة اليشكري: لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس. [4]

و ما يمكن استخلاصه من البيت أن الكتابة كانت شائعة بين العرب قبل ظهور الإسلام، وأن بعض الشعراء استخدمها بلاغا شعريا لقومه في بعض ما حز به من الأمر[5]، وأن فريقا من العرب كان يعرف الكتابة الفارسية أيضا.

الوثنية أو اليهودية مع بداية القرن الثالث الميلادي. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط4، دار القلم، دمشق،1999 م، ص ص 118-119

[1]- جورجي زيدان، المرجع السابق ،ج3، ص 58، أحمد أرحيم هبو، المرجع السابق، ص 88.

[2] -James Février, op.cit, p 273

[3] - Lammens (H.), La République Marchande de la Mecque, Beyrouth, 1906, p425.

[4]- شوقي صيف، المرجع السابق، ص 139.

[5]- ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، ط3، دار المعارف بمصر، 1966م، ص 59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر الأصبهاني[1]:« أن لقيط بن يعمر الإيادي كان كاتبا بالعربية ويحسن الفارسية فقد كان كاتبا ومترجما في ديوان كسرى . أما عدي بن زيد العبادي الذي تعلم الخط العربي والخط الفارسي فقد أصبح كاتبا بالعربية ومترجما في ديوان كسرى . » و صار أفصح العرب وأكتبهم بالعربية والفارسية لذلك انتقل إلى بلاد فارس[2].

أدوات الكتابة:

ما يدل على وجود الكتابة عند العرب قبل مجيء الإسلام، ورود ألفاظ عديدة في المعلقات تشير إلى ذلك. فقد ذكر الفيروز آبادي [3] ألفاظا عديدة كالكتابة والرسالة، والمهارق (جمع مهرق وهي الصحيفة) والزبور والكتاب والمزبر والقلم.

والزبور : جمعها زبر وقد يراد بها الكتاب الديني، وقد تطلق على غيره من الكتب، وفي ذلك يقول أبو ذؤيب[4]: عرفت الديار كرقم الدوا ة يزبرها الكاتب الحميري.

وقد وردت لفظة الزبور في القرآن الكريم في تسعة مواطن[5]، ومنه قوله تعالى[6]:{ **فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جآءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير}** وكلها بمعنى الكتاب الديني، وجاءت في موطنين منها

---

[1]- **الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء**، ط6، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ج3، ص 120، عبد المحسن الشطي، شعراء إمارة الحيرة في العصر الجاهلي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 92.

[2]- الأصبهاني،المصدر السابق ، ج 2، ص ص101-102.

[3]- القاموس المحيط، ج 2،ص 37، ج 3، ص 291، ج 4، ص 399.

[4]- محمد مصطفى منصور، أبو ذؤيب **الهذلي حياته وشعره**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،2003، ص 229.

[5]- سورة آل عمران، الآية 184، سورة النساء، الآية 163، سورة النحل، الآية 44، سورة الإسراء، الآية 55، سورة الأنبياء، الآية 105، سورة الشعراء، الآية 196، سورة القمر، الآية 43.

[6]- سورة آل عمران، الآية 184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاصة بكتاب داود، وقد وردت إفرادا وجمعا، لقوله تعالى[1]:{ **وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبورا.}**

ووردت في القاموس المحيط ألفاظا أخرى لها علاقة بالكتابة كالمداد والنفس: وهو الحبر[2].

وقد ذكر بعض الباحثين العرب المحدثين مفردات وألفاظ لاتينية وسريانية وفارسية وربما عبرانية دخلت اللغة العربية ومنها : القرطاس "Cartis" (من اليونانية Chartis) وهو الورق كان يتخذ من بردي يكون بمصر وأطلق على الصحيفة[3]، ومعظم هذه الالفاظ قد جاءت في الشعر العربي القديم. وقد قال زهير بن أبي سلمى في معلقته[4]:

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم.

فقد جاء ذكر كلمة رسالة في هذا البيت، وهي موجة إلى قبيلة ذبيان ليبلغهم أنهم أقسموا على إبرام الصلح وعقد الحلف.

وفي معلقة لبيد بن أبي ربيعة العمري يقول[5]:

فمدافع الريان عري رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها.

ويقصد بالوحي سلامها: الكتابة على الحجارة[6]:

وله بيت مشهور في معلقته إذ يقول :

---

[1]- سورة الإسراء، الآية 55، سورة النساء، الآية 136.

[2]- الفيروز آبادي، المصدر السابق ، ص 377.

[3]- بندلي صليبا الجوزي ، **دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب** ، جمع وتقديم جلال السيد وناجي علواش ، ط1 ، دار الطليعة ،بيروت ،1977 م ، ص 306.

[4] -ديوانه، شرح وتقديم علي فاعور، ط 2، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2002 م، ص 107.

[5]- الزوزني، **شرح المعلقات السبع** ، تحقيق طلال أحمد، ط 1 ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2002 م ، ص 89.

[6]- التبريزي ، **شرح المعلقات العشر** ، تحقيق مصطفى تميمة ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1977 م ، ص 191.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها. [1]

وردت في البيت لفظة : الزبر : جمع زبور وهو الكتاب ، والزبر الكتابة ، ولفظ الأقلام وهي مضافة إلى ضمير الزبر.

وعندما اختلف بنو بكر وبنو تغلب ثم اصطلحا عند عمرو بن الهند كتبا عنده عهدا ، وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة في معلقته:

حذر الجور والتعدي وهل ينـ قض ما في المهارق الأهواء.

واذكروا حلف ذي المجاز وما قد م فيه : العهود والكفلاء. [2]

وقد ذكر المؤرخون العرب وبعض المستشرقين ومنهم جيمس فيفرييه J. (Février) : « أن العرب استخدموا في الكتابة أدوات شتى منها الجلد وكانوا يسمونه "الرق" و" الأديم" و " القضيم". [3] »

و قد ورد ذكرها في الشعر العربي القديم، كقول طرفة بن العبد [4]:

كسطور الرق رقشه بالضحى مرقش يشمه.

والرق الجلد الرقيق الذي يسوى ويرقق. وقد جاء ذكر الرق في القرآن الكريم، قال تعالى [5]: {**والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور.** }

وفي القضيم يقول النابغة الذبياني [6]:

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع.

والقضيم الجلد الأبيض، وفي الأديم يقول المرشق الأكبر [1]:

---

[1]- الزوزني ، المصدر السابق ، ص 91.

[2]- التبريزي، **شرح المعلقات** ، ضبط وتصحيح عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1997 م ، ص 308، الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2001، ج 3 ، ص 414.

[3]- ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص 77، James Février, op.cit, p.266

[4]- ديوانه، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ص 84.

[5]- سورة الطور، الآيات 1-3.

[6]- ديوانه، شرح عباس عبد الساتر، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 م، ص 53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم.

ومن أدوات الكتابة أيضا القماش : وهو إما حرير وإما قطن ، ويطلقون على الصحف إذا كانت من القماش لفظة : المهارق ومفردها مهرق، واللفظة فارسية معربة من (مهر كرد). [2]

قال الزوزني [3] :« المهارق : يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء، ثم يصقلونها، ثم يكتبون عليها شيئا. »

وقال ابن السكيت [4] : « المهرق: ثوب جديد أبيض يسقى الصمغ، ويصقل ثم يكتب فيه. » أما الجاحظ فيقول في المهارق [5] : «لا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان.»

نستنتج مما سبق أن هذا النوع من مواد الكتابة وهو المهارق كان ذو أهمية بالغة لدى العرب القدامى فطريقة إعداده تحتاج إلى جهد، ولا يكتب عليه إلا الجليل من الأمر، لذلك كان ثمنه باهضا.

وقد ذكرت المهارق في الشعر العربي القديم من ذلك قول الأعشى [6]:

ربي كريم لا يكدر نعمة وإذا يناشد بالمهارق أنشدا.

أما النبات فأشهر أنواعه : العسيب وهو السعفة أو جريدة النخل إذا يبست وكشط خوصها. [7]

وقد ورد ذكر العسيب في قول امرئ القيس [8]:

---

[1]- المفضل الضبي، **المفضليات** ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط 4، دار المعارف بمصر، 1963 م، ص237.

[2]- الفيروز آبادي، المصدر السابق، ج 3، ص 291

[3]- شرح المعلقات السبع، ص 156.

[4]- ابن سيده، **المخصص**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج13، ص ص 8-9.

[5]- الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1992، ج1، ص ص49-50.

[6]- ديوانه، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1986، ص 55.

[7] -James Février, op. Cit, p. 266.

[8]- ديوانه، تحقيق مصطفى عبد الشافي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 165.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط الزبور في العسيب اليماني.

ومن المواد التي كان العرب القدامى يكتبون عليها عظام الإبل، ومن أشهرها: عظام الكتف والأضلاع. [1] وكانوا يكتبون على الحجارة، وتعرف عندهم بالوحي، قال لبيد أبي ربيعة: [2]

فمدافع الريان عري رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها.

و يتضح من البيت أن الوحي يقصد به الكتابة، و السلام: الحجارة، ومعنى ذلك أن العرب كانت تكتب على الحجارة.

وفي نفس السياق قال زهير بن أبي سلمى [3] :

لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحي في حجر المسيل المخلد.

أما الورق فلم يعرف العرب استخدامه إلا في القرن الثامن الميلادي، وقد استخدموا في ذلك الوقت الورق الصيني والورق الخراساني [4].

و ورد ذكره في الشعر العربي القديم في قول حسان بن ثابت [5]:

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب.

وقد عرف العرب ورق البردي ، وذكره ابن النديم [6] باسم القرطاس المصري، والطومار المصري، وورد ذكره في الشعر العربي القديم. وذكر في القاموس المحيط [7]« أن القرطاس: قطعة من أديم تنصب للنضال فإذا أصابه الرامي قيل: قرطس. »

---

[1]- ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص 85. James Février, op.cit, p.266.

[2]- ديوانه،ص 163، التبريزي، المصدر السابق، ص 191.

[3]- ديوانه، ص 45.

[4]- ابن النديم، المصدر السابق، ص 48.

[5]- **ديوانه**، شرح و تقديم عبدأ علي مهنا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 24.

[6]- الفهرست، ص 48، James Février, op.cit, p.266

[7]- الفيروز آبادي، المصدر السابق،ج1، ص 333،ج2،ص 240.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن ذكر أدوات الكتابة في القرآن الكريم والشعر العربي القديم، كالقلم والمداد (الحبر) والدواة، وأدوات أخرى يكتب بها أو يكتب عليها ذكرتها سابقا، ليدل دلالة واضحة على انتشار الكتابة وشيوعها بين العرب قبل الإسلام.

فقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم ثلاث مرات منها قوله تعالى[1]:{ **اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم.}** ، و قوله تعالى[2]:{ **ن و القلم وما يسطرون.}** و في قوله تعالى[3]:{**ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم.}**

و ورد ذكر القلم في الشعر العربي القديم، قال عدي بن زيد: [4]

ما تبين العين من آياتها غير نؤي مثل خط القلم.

وقال الزبرقان بن بدر[5]:

هم يهلكون ويبقى بعدما صنعوا كأن آثارهم خطت بأقلام.

وقد ذكرت الدواة والمداد في الشعر القديم ، وفي ذلك قال عبد الله بن عنمة الضبي[6]:

فلم يبق إلا دمنة ومنازل كما رد في خط الدواة مداده

خاتمة:

بعد هذه الدراسة الموجزة التي تناولت أصل الخط العربي، و تاريخ تطوره و انتشاره في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام يمكن أن ننتهي إلى مجموعة من النتائج نوجزها في النقاط الآتية:

1- سورة العلق، الآيات 1-5.

2- سورة القلم، الآية 1.

3- سورة لقمان، الآية 27.

4- الأصبهاني،المصدر السابق ، ج 2، ص 119.

5- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ص 179.

6- المفضليات ، ص 379.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1– إن دراسة المراحل والتطورات التي مر بها الخط العربي في نشأته، تبرز أنه من غير المعقول أن يكون العرب قد أخذوا الخط من القلم الحميري (اليمني)، أو العبري لأنهما كانا يكتبان حروفا منفصلة غير متصلة، والأرجح أن يكونوا قد أخذوا الخط عن الآراميين الذين كانوا يكتبون بحروف متصلة.

2– يؤكد المستشرقون من أمثال الباحثان الفرنسيان رجيس بلاشير (Régis Blachère) وجيمس فيفرييه (James Février) أن الخط الأقدم في اللغة الغربية كان يدعي الكوفي، وهذا ما يزيد يقينا أن الخط العربي ليست له علاقة بالمسند الحميري أو العبري.

3– اشتق الخط العربي من الخط والقلم النبطي الذي اشتق بدوره من الخط الآرامي الذي كان منتشرا في الشام بوجه خاص[1]، واكتمل في أوائل القرن السادس الميلادي، كما اكتملت اللغة التي كتبت بها النصوص المذكورة سابقا وأصبحت لغة أدبية عامة.

4 – إن بداية التطور الحقيقي للكتابة العربية ، إنما تعود إلى أوائل القرن الرابع الميلادي على اعتبار أن نقش النمارة المؤرخ في سنة 328م هو أول نقش عربي كتب بحروف عربية متصلة، وهذا هو الخط الذي نزل به القرآن الكريم بعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون.

5 – اكتمل الخط العربي في أوائل القرن السادس الميلادي وما يثبت ذلك أن النصوص والنقوش المكتشفة مرت بمراحل متعاقبة ومتدرجة: من لغة نبطية عربية في أوائل القرن الرابع الميلادي مثل نقش النمارة الذي يعود تاريخه لإلى سنة 328م، إلى لغة عربية مستقلة في أوائل القرن السادس الميلادي، مثل نقش زبد المؤرخ في سنة 512 م، ونقش حران الذي يعود تاريخه إلى سنة 568 م.

---

[1]- عبد المنعم عبد الحليم سيد، «الهوية الثمودية في النقوش النبطية » ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد 9، مج 1 ، مارس 2001 م ، ص 11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر والمراجع باللغة العربية :

1) المصادر:

1)القرآن الكريم.
2) ابن سيده: المخصص، ج 13، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
3) بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دارالمعارف،القاهرة 1974م.
4) ابن قتيبة : كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط 2، دار المعارف بمصر، 1969م.
5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج 1، ط 1، تحقيق أحمد ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
6) ابن النديم: الفهرست، تحقيق ناهد عباس، ط 1، دار قطري، الدوحة، 1985.
7)الأصبهاني : الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، ج 3، ط 6، دار الثقافة ، بيروت، (د.ت).
8)الإصطخري : المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، دار القلم، القاهرة، 1961.
9) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ط3، دار الكتاب العربي،القاهرة، (د.ت).
10) التبريزي: شرح المعلقات العشر، تحقيق مصطفى تميمة، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1997م.
11) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 1، دار الجيل، بيروت، 1992.
12) ديوان الأعشى: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986 م.
13) ديوان امرئ القيس: تحقيق مصطفى عبد الشافي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م
14) ديوان حسان بن ثابت: شرح وتقديم عبأ علي مهنا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت،2002م.
15) ديوان زهير بن أبي سلمى: شرح وتقديم علي فاعور، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2002م.
16) ديوان طرفة ابن العبد: دار صادر، بيروت، (د.ت).
17) ديوان لبيد بن ربيعة : دار صادر، بيروت، (د.ت).
18) ديوان النابغة الذبياني: شرح عباس عبد الساتر، ط 2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م .
19) الزوزني: شرح المعلقات السبع، تحقيق طلال أحمد، ط 1، دار الكتاب الحديث، القاهرة،2002م.
20) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج 4، دار العلم للجميع، بيروت،(د.ت).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

21) المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط4، دار المعارف بمصر ،1963م.

22) المسعودي: التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، ليدن، Lieden, 1893.

23) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ت عبد العزيز الجندي، ج2، ط9، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

2) **المراجع:**

1) أحمد أرحيم هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1979-1980م.

2) أحمد الشنتناوي: دائرة المعارف الإسلامية، مج7، دار المعرفة، بيروت،1933م.

3) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ط1، دار القلم، بيروت، 1980م.

4) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، بيروت، 1979.

5) بندلي صليبا الجوزي: دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب، جمع وتقديم جلال السيد وناجي علواش، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1977م.

6) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

7) جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

8) حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط4، دار القلم دمشق، 1999م.

9) خليل يحي نامي: "أصل الخط العربي، "مجلة كلية الآداب"، جامعة القاهرة، مج10، ج1، ماي1935م.

10) رجيس بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.

11) سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، 1960.

12) شوقي ضيف: العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، القاهرة، 1960.

13) عبد المحسن الشطي: شعراء إمارة الحيرة في العصر الجاهلي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

14) عبد المنعم عبد الحليم سيد: " الهوية الثمودية في النقوش النبطية"، مجلة المؤرخ العربي، عدد9، مج1، مارس2001 م.

15) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1964.

16) محمد الخطيب: حضارة العرب في العصور القديمة، ط1، دار طلاس، دمشق، 2005.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17) محمد مصطفى منصور: أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2003.

18) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية " مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات السامية"، دار غريب للطباعة، القاهرة،

19) محمود محمد محفوظ: الموسوعة العربية الميسرة، ج3، ط3، دار الجيل، بيروت، 2001.

20) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط3، دار المعارف بمصر، 1966م.

3) الرسائل الجامعية:

1) الطاهر ذراع : المجتمع العربي القديم من خلال كتابات أصحاب السير والكتاب القدامى، أطروحة دكتوراه دولة، مخطوط ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003 .

ثانيا : المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. Félix Gaffiot : Dictionnaire Abrégé Latin- Français illustré, Librairie Hachette, Paris, 1936.
2. Strabon : The géography of Strabon, trans. By H.L. Jones, books I-II, London, 1949.
3. James Février : Histoire de l'écriture, Payot, paris, 1959.
4. Henri Lammens : la République Marchande de la Mecque, Beyrouth, 1906.
5. Larousse Illustré : librairie Larousse, Paris, 1991.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com